# الفصل الرابع

## التطورات السياسية في روسيا (١٨٠١- ١٨٩٤)

تعد الامبراطورة كاترين الثانية (١٧١٢-١٧٩٦) من افضل من جاء للحكم في روسيا بعد بطرس الكبير (١٦٨٢ــــ١٧٢٥) ، فكان هدفها الوصول الى المياه الدافئة والذي عد جزء من سياستها الخارجية ، وخاضت معارك عدة مع الدولة العثمانية وأنتصرت عليها وأرغمتها على توقيع الصلح معها وبذلك تمكنت من الوصول الى البحر الاسود ، وعندما قامت الثورة الفرنسية وقفت كاترين بالضد منها وقطعت علاقتها معها بعد اعدام لويس السادس عشر ، وبعد وفاتها جاء١٧٩٦ الى حكم روسيا ابنها بول الاول (١٧٩٦-١٨٠١) اذ سار على نفس سياسة كاترين وجاء من بعده الاسكندر الاول .

## الاسكندر الاول (١٨٠١-١٨٢٥) :

تولى الاسكندر الاول عرش روسيا وكانت اغلب امال الشعب متجه نحوه في تحقيق الاصلاح ، أذ تظاهر بالاصلاح وحاول ايجاد اصلاح للفلاحين وتخفيف الرقابة على الصحافة ، كان متأثرا بالاراء الحرة ومؤيدا لمبادئ الثورة الفرنسية ، فقد أعلن في مؤتمر فيينا أنه يجب مقاومة الحركات الرجعية ومن أهم الاصلاحات التي قام بها عقد مجلسا استشاريا ، وأدخل عناصر اصلاحية في الوزارة واهتم بالتعليم العالي وفتح المدارس وحاول الغاء الرق واعلن ان حكمه سيكون حكما دستوريا.

عقد الاسكندر الاول معاهدة تلست مع نابليون تعهد فيها بتأييد نابليون للحصار القاري ضد بريطانيا مقابل اطلاق يد روسيا في الدولة العثمانية وفلندا ، لكن بالرغم من المعاهدة المذكورة حصلت خلافات بين الطرفين، أذ وقفت فرنسا ضد الاطماع الروسية في القسطنطينية وطهران وعرقلة النفوذ الروسي في جزيرة البلقان وفي البحر المتوسط ، فضلا عن الحصار القاري وأثاره الاقتصادية على روسيا، أذ بعد فشل الحملة الفرنسية على روسيا عام ١٨١٢ فقد بدأت قوة نابليون بالتراجع وانتهت السياسة الفرنسية على اوروبا وأزدادت أهمية روسيا في العلاقات الدولية، وأقترح الاسكندر الاول في مؤتمر فيينا بأن لايتم تحقيق أي وحدة بين النمسا وبروسيا لان توحيدهما يشكل خطر على روسيا في

اوروبا وان تبقى فرنسا ضعيفة ، كما أراد القيصر الروسي أن تكون بولندا متحدة مع الامبراطورية الروسية مع احتفاظ بولندا بدستورها الخاص بها .

لقد عرف عن الاسكندر الاول بنزعته الدينية وايمانه بالمبادئ الحرة ، فضلا عن عدم ثباته على مبدأ معين ومؤيدا لمبدأ الاتحاد الاوروبي ، وهو صاحب فكرة الحلف المقدس الذي تأسس بعد مؤتمر فيينا ، كان مؤيدا للحكم الرجعي في اوروبا والقضاء على الثورات التحررية المعادية للحكم الرجعي ، وكان يرى وجوب مساعدته من قبل الدول الاوروبية في حربه ضد الدولة العثمانية والتي عدها حربا بين المسيحية والاسلام ، كل تلك الدعوات لم تلقي تأييدا كبيرا لكن فيما بعد تراجع الاسكندر الاول عن تلك الاراء ووقع تحت تأثير مترنيخ بضرورة الالتزام بمقررات مؤتمر فينا وتخلى عن نزعته الحرة حتى وفاته عام ١٨٢٥.

**نيقولا الاول ١٨٢٥-١٨٥٥:**

يعد من أكثر الملوك ظلما في تاريخ روسيا من خلال سيرته المليئة بالاحداث التي اثرت على الشعب الروسي في اثناء مدة حكمه ، أذ كان بعيدا عن الافكار التحررية وحكم روسيا حكما اوتوقراطيا وبمساندة الكنيسة والقوى الرجعية ، أذ قضى على كل معالم الاصلاح وقيد الصحافة وطارد الاحرار ، فحكم روسيا ثلاثين عاما حكما أستبداديا مطلقا ، في عهده حصلت ثورة عرفت **بثورة الديسمبريين** وهم مجموعة من الشباب من أبناء الطبقة الارستقراطية الروسية تأثروا بمبادئ الثورة الفرنسية ، أذ قاموا بأنتفاضة في شهر ديسمبر (كانون الاول ) ١٨٢٥ ضد حكم نيقولا الاول ، وفي ضوء ذلك قال نيقولا **" أن الثورة على أبواب روسيا ، ولكن أقسم أنها لن تدخل روسيا مادمت أنا على قيد الحياة"** ، وبلغت البيروقراطية حجمها الكبير في البلاد بعد اعتماده على شخصيات غير مؤهلة لادارة روسيا ، أذ أنتشرت الرشوة والمحسوبية في البلاد واصبحت الرقابة شديدة على الصحف والمجلات.

كانت سياسة القيصر نيقولا الاول التعليمية تتسم بالرجعية ، أذ كان يخشى من العالم والمتعلم والتعليم ، فقد وصف وزرائه التعليم بأنه**" يجب أن يعطى حسب وصف الحكومة ، وأن العلوم تكون نافعة فقط حين تستعمل كالملح وتدرس الى الحد اللازم مع الاخذ بعين الاعتبار حالة الناس وحاجة كل مرتبة**

**اليها"**، اما التعليم العالي فكان حصرا لابناء النبلاء والاشراف ولا يحق لابناء الفلاحين الدخول اليها ألا في مدارس الابرشيات ، ونتيجة دخول الاقطاع في أزمة كبيرة قرر نيقولا أن يجري أصلاحات فيه ، فخلال السنوات (١٨٣٧-١٨٤٢) أسس وزارة أملاك الدولة وأعاد النظر في جباية الضرائب ، وقام بتهجير الفلاحين من المناطق ذات الكثافة السكانية الى مناطق اقل كثافة سكانية ومنحهم أرضا وذلك تجنبا لانتشار الافكار الثورية ، وبنى المدارس والمستشفيات لهم، لكن كل تلك الاجراءات لم تجعل الاقطاع راسخا في روسيا ومن جهه لم تمنعه من الانهيار.

**سياسة نيقولا الخارجية :**

تمثلت سياسة نيقولا الخارجية بتحقيق بعض اصلاحاته التي امن بها ومنها تأييده للحكومات الرجعية في اوروبا ، وكان مستعدا لارسال جيشه الى أى مكان في اوروبا للقضاء على اي ثورة تحررية وكان هدفه الاخر تقوية نفوذه في الشرقين الادنى والاوسط وسعيه لاغلاق مضيقي البسفور والدردنيل بوجه السفن الحربية الاجنبية لتأمين الاساطيل البحرية الروسية طريقها الى البحر المتوسط ، لكن تلك المطامح قد أصطدمت بالاطماع البريطانية والنمساوية التي كانت تريد هي الاخرى أن يكون لها نفوذ في الشرق الادنى وشبه جزيرة البلقان ، ففي عام ١٨٢٦ أعلنت بلاد فارس وبتحريض من بريطانيا بأعلان الحرب على روسيا ، لكنها قامت بعقد معاهدة مع روسيا عرفت بمعاهدة **(تركمان جاي)** بموجبها تنازلت عن أرمينيا الشرقية لروسيا ، وأصبح لروسيا حق حرية التجارة في بحر قزوين ودفع مبلغ (٢٠) مليون روبل الى روسيا ، وبالمقابل اعترفت روسيا بالامير عباس وليا للعهد ، لذلك لم تتمكن بريطانيا من استغلال بلاد فارس كوسيلة للتدخل في منطقة اواسط اسيا.

لقد أثار تأييد نيقولا الاول للثورة اليونانية مخاوف الدول الاوروبية من اتخاذ نيقولا تلك الثورة كذريعة للتدخل في تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية ، لذلك قامت بريطانيا بارسال **دوق ولنجتتن** الى بطرسبورغ لاقناع روسيا بالتوسط بين الطرفين المتحاربين على استقلال اليونان استقلالا ذاتيا، فوافقت روسيا على ذلك وأنضمت اليها فرنسا وتم توقيع معاهدة لندن عام ١٨٢٧ بين بريطانيا وروسيا وفرنسا ، على أن تكون اليونان مستقلة بشؤونها الادارية مع أعترافها بسيادة

السلطان العثماني ، وذلك تم عن طريق عقد هدنه بينهما ، لكن السلطان العثماني رفض تلك المعاهدة مماحدى بالدول الثلاث من محاصرة الاسطول العثماني والمصري الذي كان معه في ٢٠ تشرين الاول ١٨٢٧ ، وعلى اثرها أعلن السلطان العثماني الجهاد ضد الممالك المسيحية لاسيما روسيا ، وبالمقابل أعلنت روسيا الحرب ضد الدولة العثمانية في نيسان ١٨٢٨ وحصل قتال بين الطرفين وتمكن القائد الروسي **(ديستمش )** عام ١٨٢٩ من اختراق جبال البلقان والاستيلاء على أدرنة ، وعندما وصلت القوات الروسية على مقربة من القسطنطينية عقد السلطان العثماني معاهدة أدرنة في أيلول عام ١٨٢٩ ، حصلت بموجبها روسيا على مصب الدانوب والساحل الشرقي للبحر الاسود ، وأقرت الدولة العثمانية الاستقلال الذاتي لصربيبا وتعهدت بمنح ملدافيا وولاشيا الحكم الذاتي تحت حماية روسيا ، وتتمتع الدول كافة بحرية التجارة داخل البحر الاسود وعبر المضائق وقبول السلطان العثماني بشروط معاهدة لندن .

استنجد السلطان العثماني في عام ١٨٣٢ بالدول الكبرى بعد توجه القوات المصرية الى القسطنطينية ، فتوجه القيصر الروسي للتدخل لمنع مد نفوذ محمد على باشا في الشرق الاوسط ، وقد تم ايقاف زحف قوات محمد علي وانتشرت القوات الروسية البحرية والبرية في مضيف البسفور ، هذا العمل قد أزعج الدول الاوروبية لكن فرنسا وقفت الى جانب محمد علي اما بريطانيا فكانت منشغلة بمشاكلها ، وبعد ذلك أضطر السلطان العثماني الى عقد معاهدة مع روسيا عام ١٨٣٣ عرفت بمعاهدة **(هنكيار أسكه سي)** وبموجب تلك المعاهدة تعهدت روسيا بالدفاع عن ممتلكات الدولة العثمانية من جهه خارجية بالمقابل يتعهد السلطان بأغلاق المضائق امام السفن الحربية الاوروبية.

توجهت روسيا بعد ذلك الى اخضاع القبائل والشعوب الاسلامية في المناطق الجبلية في القفقاس واتبعت سياسة استعمارية في احتلالها ، أذ قامت بنهب قراها ونقل سكانها الى المناطق البعيدة ، تلك السياسة أثارت الكراهية لدى ابناء تلك المناطق وحصلت ثورات عدة متها ثورة ( **شامل بيك)** عام ١٨٣٤ في مقاطعة داغستان ، التي أتسمت بطابع وطني تحرري ، بالرغم من المساعدات التي قدمتها الدولة العثمانية للثوار الا انها فشلت والتجأ شامل بيك الى الدولة العثمانية وبعدا انتقل الى المدينة المنورة وتوفي هناك .